أضواء على بعض ممارسات الفساد المالي والإداري في الدولة العباسية

إعداد
كمال محمد أحمد القدح
أ.د أحمد عبد السلام ناصف
أستاذ التاريخ والحضارة والإسلامية بكلية الآداب – جامعة طنطا
ا.م.د محمد فياض
أستاذ مساعد التاريخ والحضارة الإسلامية بكلية الآداب – جامعة طنطا

المستخلص:

يأتى الفساد كأبرز الأمراض الخبيثة التى ما إن يُصاب بها شعب من الشعوب أو دولة من الدول حتى تكون سبباً فى بواره وسقوطه، وحالة الدولة العباسية هى حالة نموذجية يمكننا إخضاعها للبحث والدرس فى هذا المجال ، فالدولة العباسية تلك الدولة القوية الفتية تعرضت فى مراحل تاريخية عديدة لممارسات يمكن وصفها بأنها ممارسات فاسدة سواء من ناحية المال أو الإدارة ، كل هذه الممارسات أثرت على ضعف وخلل كبير فى الدولة العباسية ساهمت فى النهاية فى الوصول لحالة الترهل والتداعى وفى هذه الورقة يحاول الباحث إلقاء بعض الضوء على بعض من هذه الأمثلة .

الكلمات الإفتتاحية:

الدولة العباسية - فساد مالي

الدولة العباسية- فساد إداري

الفساد المالي والإداري

مقدمة:

مهما يكن من أمر فقد كان لممارسات الفساد على الدولة العباسية أثر بالغ فى بوارها تعرضت الدولة العباسية في العراق لعملية استنزاف مستمر ، ولم تستطع قوات الأمن في كثير من الأحوال ضبط الأوضاع ويعبر أحد الباحثين عن ذلك قائلاً.. " أن ذلك الصراع كان عامل تمزق وضعف قاست منه الأمة الإسلامية والعالم الإسلامى كثيراً فقد حدث من جراء ذلك شيوع حالة الدعة والخمول وفضلاً عن انكسار الشوكة واللامبالاة ، وتركز الصراع على وجهات النظر الضيقة فأهمل الجهاد بل كانت أخبار الغزوات الصليبية في العالم الإسلامي تقابل بحالة من عدم الإكتراث واللامبالاة [١] ولما نشأت الفتن وانتشبت الحروب ، انشغل الناس عن تجارتهم وزراعتهم وتوقف العمال، وغلت الأسعار ، وتعطلت الزراعة لضياع الأمن فقلت الجباية ، كما احتاج العمال والقواد إلى الأموال فظلموا الناس في تحصيلها منهم فزاد الخراب من هادم للعمران كالظلم فإنه يغل الأيدي ويقعد الناس عن السعي فينشغل به الزراع عن زراعته والتاجر عن تجارته والصانع عن صناعته ، ووبال ذلك عائد على الدولة إذ لا قوام لها إلا بالرعية .." [٢].

وكيفما كان الأمر فإن قضية الفساد المالى والإدارى كانت عاملاً أصيلاً من عوامل سقوط الدولة العباسية، فالدولة التى كانت فتية فى عصورها الأولى، وكان خليفتها الأبرز أبو جعفر المنصور معروفاً بإسم أبو الدوانيق لتقتيره الشديد على بناة بغداد وعمالها، صارت ترزح تحت الفساد المالى والإدارى لتكون أحد أهم أسباب بوارها .

والفساد إذن هو سلوك إجرامي عرفته البشرية ، ثم أخذت هذه الظاهرة في النمو والتطور فتنوعت أشكالها كما اختلفت مسمياتها ، وحقيقة الأمر فإن الفساد يعد شكلاً من أشكال هذا الإنحراف الذي تعددت تعريفاته بتعدد مجالاته وأنواعه ، لقد زخر مصطلح الفساد في اللغة العربية بالثراء في تعريفاته ، فالكلمة مصدر فسد ويقال : فسد الشيء يفسد فساداً ، وفسد (بضم السين) فهو فسيد والفساد هو عكس الصلاح ، والمفسدة هي الضرر ، كما يقال : استفسد الشيء أي حرص على أن يكون فاسداً وتفاسد القوم أي تباعدوا وقطعوا أرحامهم ، ويُعرف الفساد أيضاً على أنه القصور الأخلاقي عند الأفراد الأمر الذى يجعلهم غير قادرين على تقديم الإلتزامات الذاتية المجردة التي تخدم المصلحة العامة وهو كذلك يعد انتهاكا لمبدأ النزاهة [٣] .
والفساد أيضاً في الاصطلاح هو خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عليه أو كثيراً ، ويستعمل في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة ، هذا وان الفساد اصطلاحاً في لغة القانون : عدم المشروعية أو الخروج على القانون أو خرقه لتحقيق مكاسب خاصة مادية أو معنوية على حساب الآخرين دون وجه حق ، أي اساءة إستخدام السلطة العامة من أجل الكسب المادي أو من أجل الحصول على منفعة إجتماعية بالطريقة التي يترتب عليها خرق القانون أو حتى مخالفة التشريع ومخالفة المعايير الأخلاقية ، وبهذا فإن الفساد يتضمن انتهاك المصلحة

---

(١) غسان وشاح : موقف الشيعة من غزو المغول للعراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠٠٧، ص ٩٢ .

(٢) جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق : حسين مؤسس، دار الهلال، القاهرة، د.ت.، ج٢، ص ١٢٤ .

(٣) تيسير شادى : الفساد فى الدولة الفاطمية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠١٥ ، ص ٧١ .

العامة ، ويمثل أيضاً إنحرافاً في السلوك السوي في التعامل وهو بهذا يمثل سلوك غير مشروع من الناحية القانونية ، وهو أيضاً غير مقبول من الناحية الإجتماعية ، وحتى الفقه فقد عرف الفساد بأنه نوع من الاستفادة من الإجراءات العامة بغرض على المنافسين والذي قد يحدث نتيجة استغلال الوظيفة العامة أو بالرشوة أو دون الرجوع الى الرشوة بتعيين الأقارب، أو سرقة مال الدولة مباشرة [١] .

يمكننا أن نمهد لمظاهر تضخم الثروة وانفاقها فى اللاشىء من خلال النصوص التالية ، فعلى سبيل المثال كان زواج المأمون من ابنة وزيره عام ٢١٠ه / ٨٢٥ م فرصة للافراط في تبديد وإنفاق الثروات، فقد وُصف هذا الزواج بأنه زواجاً أسطورياً، فقد أفرغت ألف لؤلؤة ذات حجم ضخم منقطع النظير من طبق ذهبي على رأس الزوجين اللذين كانا واقفين على حصيرة ذهبية وُصفت بأنها مزينة باللؤلؤ والياقوت، كما كانت هناك شمعة من العنبر الداكن تزن حوالى مائة كيلو جرام ضوئها يحول الليل إلى نهار.[٢] وهو إحدى مظاهر السفه والفساد فى الإنفاق المالى ، ورغم هذا المثال سابق على فترة الدراسة إلا أن هذه الممارسات فى إنفاق المال كانت سبباً مباشراً ساهم فى وصول الخلافة العباسية لمرحلة كبيرة من الضعف والترهل فيما بعد .

سمي بهذا الاسم لأنه أقيم في هذا المكان شجرة صناعية بها ثمانية عشر فرعاً من الذهب والفضة وهو ما يعبر عن بذخ شديد فى الإسراف المالى ، وكانت تقف على الأغصان وكذلك على الأوراق المغطاة بطلاء مذهب طيور مصنوعة من نفس المعادن الثمينة، كما كانت الأغصان تتراقص، والأوراق تهتز، والطيور تغرد إذا ما داعبت هذه الشجرة نسمة هواء خفيفة ، هذا وقد بلغت القصور درجة من الروعة لدرجة كان يندهش لها سفراء بيزنطة عند قدومهم إلى بغداد، خاصة عندما كانوا يشهدون سروج جياد الامبراطورية العباسية من الذهب والفضة وأغطيتها أيضاً من خيوط الحرير أو الذهب أو الفضة.[٣]

ومن الجدير بالذكر فإن الوزير ابن الفرات الذى أنفق ثلاثون ألف دينار على ستائر قصره من أموال الدولة ، كما كان يشترى مسكاً وكافوراً بمبلغ عشرة آلاف دينار فى السنة ، ومن المفارقة فقد كان يكفى الرجل وزوجته للعيش الكريم ما مقداره ثلاثمائة درهم فى السنة [٤].

وفى ذات الإطار فقد تضخمت أموال الخدم وثرواتهم ومن الطريف أن ثروات الخدم صارت أصبحوا توازى ثروات كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء بل الخلفاء أنفسهم ، ومن مظاهر تضخم ثروات الخدم ، امتلاك الاقطاعات وهو ما كان يمنحه الخليفة أو نائبه الوزير من الضياع والأراضي لأحد من رجال دولته أو واحد من أفراد حاشيته ، على أن يدفع لخزينة الدولة عشر ريع تلك الضياع ، هذا وقد توسع منح الإقطاعات في العصر العباسي الثاني بشكل كبير ، حتى أصبح من مظاهر الشرف والثراء وما يهمنا هنا هو ما كانت تدره هذه الإقطاعات في خزائن الخدم من أموال وخيرات أدت إلى تضخمها بشكل كبير ، وكان من تلك الإقطاعات ،

---

(١) سرمد رياض عبد الهادى ، سلمى طلال عبد الحميد : دور الفكر الاسلامى فى محاربة الفساد الادارى ، بحث منشور بأعمال مؤتمر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة قناة السويس بالتعاون مع جامعة بابل ، ٢٠١٤ ، ص ٥٤٣ .

(٢) جاك. س. ريسلر: الحضارة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ١٩٩٣ ، ص١٣٩.

(٣) جاك. س. ريسلر: الحضارة العربية ، ص١٣٩.

(٤) محيى الدين اللاذقانى : ثلاثية الحلم القرمطى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص ١٥٩ .

الضياع الفريديات التي أقطعها الخليفة المعتضد بالله للجارية فريدة المغنية ، وهى إحدى خواصه المقربين ، والتي عرفت الضياع فيها بعد باسمها [١] .

وفى ذات الإطار تميزت بعض القوات العسكرية بأعطيات إضافية عن باقى الفرق الأخرى فى الجيش فقط لقربها من نفس الخليفة ، أو لصلته القوية بقياداتها فنجد أنه فى عام (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وبمجرد بيعة الخليفة المتوكل بالخلافة حتى أمر بتفريق العطاء فى الجند، وميز بعض فرق الجيش عن باقى عناصر الجند، ففى حين أمر بعطاء أربعة شهور للمغاربة، وثلاثة شهور لباقى الفئات، أمر بثمانية شهور لبعض الفئات الأخرى [٢]
، وفى ظروف أخرى كان المتوكل يصرف لهم مكافأة عشرة أشهر[٣] ، وهو ما يمكن وصفه أيضاً بالممارسات الفاسدة .
وعلى جانب آخر يمكننا أن نرصد ممارسات فاسدة أخفاها بعض كبار رجال الدولة وتستروا من وراء الهدايا للخلفاء ، فمثلاً كان الوزير حامد بن العباس يمارس فساده المالى حيث قدم للخليفة بستاناً بناه أسماه الناعورة، بلغت قيمته مبلغ مائة ألف دينار مع فرشه مساكنه أنواع المفارش المفتخرة"[٤]، وحسبما وصفت إحدى الكتابات حامد بن العباس أنه كان نموذج لجابى الضرائب، محتال، متوحش، طماع، بلا ذمة"[٥].

وفى حقيقة الأمر فإن الوزير العباسى حامد بن العباس قد قام باستغلال سلطته وقام بالعديد من الممارسات الإحتكارية الفاسدة فغلت الأسعار ببغداد، وشغبت العامة، ووقع النهب، فركب الجند فهاوشتهم العامة، وسببه ضمان حامد بن العباس السواد وتجديد المظالم، فقصدوا دار حامد، فخرج إليهم غلمانه فحاربوهم، هذا وقد دام القتال أياماً، ثم انكشف عن جماعة من القتلى، ثم تجمع من العامة عشرة آلاف، فأحرقوا الجسر، وفتحوا السجون، ونهبوا الناس...وبناءاً على ذلك اختلت أحوال الدولة العباسية، وعلت الفتن، ومُحقت الخزائن [٦] .

وكان السبب الرئيسى فى كل هذه المشاكل ومظاهر الخلل الاقتصادى والاجتماعى والإدارى هو السياسات الفاسدة الإحتكارية لحامد بن العباس فظهر اختلال الدولة العباسية، وجُيشت الغوغاء

---

(١) الصابىء : الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م ، ص ٢٠٢ ؛ نورة بنت ابراهيم الدوسرى : خدام دار الخلافة ودورهم السياسى والحضارى ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٥ ، ص ١٨٤ .

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق : عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.، ج١٤، ص٣٣٢؛ علياء الكعبى: الجيش العباسى تطوره وتنظيماته (٢١٨- ٢٧٩هـ/ ٨٣٣- ٨٩٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، ٢٠٠٧ ، ص ٢٠٢.

(٣) التنوخى: الفرج بعد الشدة للوقائع الغريبة والأسرار العجيبة، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م ، ج٣، ص٢٢.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨١٨.

(٥) ماسينون : آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامى، ترجمة: الحسين مصطفى حلاج، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت،الطبعة الأولى،٢٠١٤، ص٣٦٢.

(٦) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠ .، ج٢٣، ص ٣٠ ؛ محمد فياض : تاريخ التصوف الإسلامى ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٩ ، ص ٣٩ والتى تليها .

ببغداد، وعبرت المصادر أن سبب ذلك كثرة الظلم من الوزير حامد بن العباس، فقصدت العامة داره، فحاربهم غلمانه وكان له مماليك كثيرة، كما دام القتال أياماً، وقُتل عدد كبير، وتطورت الأمور واستفحل البلاء، ووقع النهب فى بغداد [١]

وقد قال أحد الفقهاء لحامد بن العباس مالك ولهذا عليك بما نصبت من أخذ أموال الناس وظلمهم وقتلهم، مالك لدرجة أن حامد بن العباس أمر بضربه فضُرب على فكيه ورأسه وسال الدم من منخاره، وأمر بحبسه ، ودعا على حامد بن العباس قائلاً " اللهم اقتله أخبث قتله" [٢] ، ومات الفقيه بعد هذه الإهانات والإذلال بسبعة أيام [٣].

بطبيعة الحال فقد كان للفساد الإدارى والمالى آثاراً كارثية على كافة المستويات فى المجتمع العراقى إبان فترة الدراسة ، فقد أنهك الفساد جسد الدولة وصارت بلا حول ولاقوة ، صارت الدولة ضعيفة فى كافة الأوجه الإدارية والسياسية والمالية الأمر الذى مهد لمشهد السقوط الدرامى عند دخول المغول بغداد وإسقاطهم عاصمة الخلافة .

وهناك أمثلة عديدة على نتائج الضعف الإدارى فى سقوط هيبة الخلافة فعلى سبيل المثال نجد أن معز الدولة بن بويه" [٤] كان هدفه إذلال مؤسسة الخلافة والخليفة، حتى إن معز الدولة أراد تحويل دفة الأمر إلى رجل علوي فخلع الخليفة العباسي المستكفي (٣٣٣ – ٣٣٤هـ / ٩٤٤ – ٩٤٦م) وكحله مدعياً [٥] وعين مكانه الخليفة المطيع (٣٣٤ – ٣٦٣هـ / ٩٤٦ – ٩٧٤م) على عرش الخلافة ، بل أنه حدد له مصروف محدد وهو ألف درهم في اليوم ، ثم قطع ذلك الراتب بعد ذلك وجعل له إقطاعات بسيطة يعيش عليها [٦]

وبذلك صار البويهيين أصحاب الحل والعقد ، وصار الخليفة لعبة بأيديهم متصرفين في كافة شئون الدولة ، مخصصين راتباً زهيداً للخليفة ، متخذين لقب الأمير [٧]

وإمعاناً من معز الدولة في التفريق بين المجتمع في العراق أنشأ وظيفة جديدة عرفت بوظيفة السعاة ليعلم بالأخبار في الشارع سريعاً وتروى النصوص عن ساعيين اشتهرا في مجتمع

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م ، ج٤ ، ص ٣٨ .

(٢) البغدادى: تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت، ج٨، ص ٧٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٣٢ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٣٢.

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٥ ، ص ٢٠٨ .

(٥) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ج١، ص ١٨٢ والتي تليها .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تصحيح : محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.، ج٨، ص ١٢٦ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٨، ص ١٤٩ ، ص ١٧٦ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء، تعليق: جمال محمود مصطفى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٦٣ .

العراق فى ذلك الوقت وهما " فضل ومرعوش" فكانا يسيران فى شوارع بغداد ليتحسسا الأخبار في حالة من تجسس السلطة على كافة أفراد وعناصر المجتمع[١] .

وحسبما تحدثت النصوص عن الساعيان فضل ومرعوش أنهما كانا من سقط الناس وسفلتهم ومع ذلك فقد لهج الناس بهما وتعصبا لهما حتى صار جميع من فى بغداد إما مرعوشياً أو فضلياً، ومن الطريف ما رواه النص أن قاضي قضاة بغداد اجتاز يوماً بباب الطاق فتعلق الغوغاء بلجام بغلته وقال أيها القاضي عرفنا هل أنت مرعوشي أم فضلي فتحير وعرف ما تحت هذه الكلمة من السفه وما ستجره من مشاكل وفتنة وأن التخلص من الأمر بدبلوماسية أجدى عليه من العنف والخرق وإظهار السطوة ، ولذلك فالتفت إلى من معه وسأله قائلا نحن في محلة من ؟ فقال في محلة الساعى مرعوش فقال القاضي إذن فنحن كذلك ، عافاك الله – وعندما سمع العيار هذا الحديث قال له " أمشِ أيها القاضي في ستر الله .." [٢] .

كما أثرت حالة الضعف الإدارى الناتجة عن الفساد بضياع كامل لهيبة الخلافة وتجرؤ القوى السياسية المختلفة عليها مثل ما حدث من تجرأ لبنى مزيد فى الحلة بني مزيد ومواقفهم هو ما حدث (٥١٣هـ / ١١١٩م) وذلك عندما قام دبيس بن صدقة بن منصور بإجراء غاية في الخطورة حيث قام بكسر المنبر الذي كان يخطب عليه الخليفة العباسي في صلاة الجمعة وكان ذلك إبان حكم الخليفة المسترشد بالله العباسي وبعد ذلك قطع خطبة الخليفة العباسي خروجاً على السيادة العباسية أو كشكل من أشكال الاستقلال الروحى عن الخلافة العباسية [٣].

ومن الأمثلة على دور سلاح الرشوة فى إضعاف وإنهاك جسد الدولة العباسية فتروى بعض النصوص أن بعض القوى المعارضة التى أرادت تقويض الدولة العباسية استخدمت سلاح المال والرشوة أيضاً لصالح إنجاح مشروعها ، فعلى سبيل المثال فقد عاش أحد أئمة الفاطميين متخفياً فى مدينة فى سلمية على أنه عباسى ، فكان يعاشر قوماً من أهل سلمية هاشميين من ولد عبد الله بن العباس، وكان يظهر لهم أنه عباسى [٤] ، ومن الجدير بالذكر أن الحسين بن أحمد كان على درجة كبيرة جداً من الثراء ومرد ذلك كان الى الأموال والبضائع فكانت الأموال والذخائر تحمل من كل بلد من قبل الدعاة إليه إلى سلمية، هذا وقد قام الإمام بحفر سرداباً فى الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلميه طوله اثنا عشر ميلاً، وبلغ من ضخامة الأموال أنها كانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب فى الليل وتنزل فيه بأحمالها عليها حتى تحط فى داخل الدار وتخرج فى الليل ويغمى على باب السرداب التراب فلا يدرى به أحد وكانت الأموال عظيمة ، وفى الحقيقة فقد استخدم الإمام هذا المال خير استخدام فكان كل عامل من قبل العباسيين يتولى سلمية يلاطفه الإمام ويهدى إليه ويبالغ فى الإحسان إليه فيصير كل من يلى البلد شبهاً بالعبد له لجزيل ما يوليه، فضلاً عن الموائد التى كان يقيمها والتى كان يحضرها

---

(١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية ١٩٦٩م ، ج١، ص ٤٠٥ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية ، ج١٥ ، ص ٣٠٦ .

(٢) أبو حيان التوحيدي : الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٨٣، د.ت؛ طبعة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت. ، ج٣، ص ١٨٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م، ج١٧ ، ص ١٧٤ .

(٤) اليمانى سيرة جعفر الحاجب منشور فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية بعنوان مذكرات فى حركة المهدى الفاطمى، المجلد الرابع، جـ٥، نشر ايفانوف، ديسمبر ١٩٣٦ م، ص ١٠٨.

هؤلاء الهاشميين، فضلاً عن مظاهر التكافل الاجتماعى ودعم الفقراء التى كان الإمام وأهله يقومون بها فى سلمية ، وعن هذا يعلق أحد كبار الأساتذة قائلاً: "بهذه الوسائل استطاع الآئمة المستورون وحججهم أن، يلاقوا شيئاً غير قليل من النجاح"، وبالفعل كان النجاح كبيراً فى تلك الفترة وتقدمت الدعوة تقدماً ملحوظ [١]

حسب تحليلات البعض أسباب تدهور الخلافة العباسية إلى عدة عوامل داخلية عجلت بتدهورها وإفسادها، وذلك قبل أن تقضي عليها القوى الخارجية، "فقد أنهك قوى الخلفاء إدمانهم للشراب، وانهماكهم في الشهوات، واللهو، والترف، والبطالة، وقد جلس على سرير الملك طائفة من الخلفاء الضعاف الذين فروا من مهام الحكم إلى ملذاتهم ، وكان لزيادة الثروة، واستمهاد الراحة الأثر في طبقة الحكام ما كان لها في الخلفاء، وتعدي ذلك إلى الشعب نفسه، فضعفت صفاته الحربية، لم يكن من طبيعة هذا الضعف وعدم النظام أن يخلق اليد القوية التي كانت البلاد في أشد الحاجة إليها لتجمع شتات هذا الخليط المتفرق المتباين من الولايات والقبائل. كما أسفرت العداوة العنصرية والإقليمية عن قيام العديد من الثورات، فلم يكن العرب والفرس، والسوريون، والبربر، والمسيحيون، واليهود، والأتراك، لم يكن هؤلاء جميعاً يجتمعون على شيء إلا على احتقار بعضهم البعض، وما زاد الطين بلة أن الدين الذي كان من قبل يجمع شملهم ويوحد صفوفهم قد تفرق شيعاً، وزادت حدة الانقسامات السياسية والجغرافية، وكانت هي المعبرة عن هذه الانقسامات". [٢]

وهنا يمكن أن نلاحظ السهولة المطلقة في سقوط المجتمع العراقي وعاصمة الخلافة أمام الهجمة المغولية، ففضلاً عن عمليات الفساد والإفساد صار المجتمع هشاً فقيراً منقسماً متخاصماً يحمل فى جوانبه مظاهر الفساد المالى والإدارى ، كل هذه العوامل شرخت المجتمع وأصابت المجتمع بالهشاشة على كافة المناحي سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية ، بل وحتى لقد أصابت الانتماء المجتمعي بالهشاشة، ولم يكن أمام الجيش المغولي مهمة عسيرة بل كانت مهمته سهلة ويسيرة فقد اقتحم مجتمعاً ودولة نخر السوس أعمدتها عبر سنين طويلة ، فكان السقوط السهل وكانت الهزيمة النفسية والمعنوية أسبق من الهزيمة العسكرية [٣] .

، وبالإضافة إلى عوامل الفساد فلم تمر سنة واحدة دون احتراب مرير وقتلى من الطرفين ، بالإضافة إلى حرق للبيوت والأسواق ، فانصرف الناس إلى حرب بعضهم البعض [٤] وتوالت الفتنة والاضطرابات فساءت أحوال العراق بعد أن سادتها عوامل الفساد لأمر الذي كان له تأثير سيىء على أحوال البلاد السياسية فضلاً عما صاحبها من إنهيار في البناء الاجتماعي وتدهور اقتصادي ، الأمر الذي أثر تأثيراً ملحوظاً على طوائف المجتمع العراقي، وأن يكون له صدى

---

(١) اليماني: سيرة جعفر الحاجب، ص ١٠٨ .

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٩٨ .

(٣) محمد فياض : التشيع الشعبى فى العراق ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص١٢٠ .

(٤) فاضل الأنصاري : قصة الطوائف فى الإسلام بين المذهبية والطائفية ، الأهالي للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٨٠ .

على مظاهر الحياة الاجتماعية فيه من مسكن ومأكل وملبس وعادات وتقاليد فجرهم إلى الفرقة والتناحر والسباب والمهاترات والتكفير واللعن والفتن والمصادمات وتخريب العمران[١] .

(١) خالد علال: التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهر- آثاره- أسباب – علاجة ، دار المحتسب، ٢٠٠٨، ص ١٣ .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- **ابن الأثير " أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني، ت (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢ م)**
الكامل في التاريخ ، تصحيح د/ محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية بيروت، سنوات الطباعة ١٩٨٧، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

- **ابن الجوزي " أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي" ت (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠ م)**
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.

- **ابن العماد " شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد الدمشقي" ت (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨ م)**
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

- **ابن دقماق " إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي" ت (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)**
الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

- **ابن كثير " عماد الدين أبي الفداء إسماعيل" ت (٧٧٤هـ/ ١٣٧٢ م)**
البداية والنهاية، تحقيق : د / عبدالله بن عبدالمحسن، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

- **التوحيدي " علي بن محمد بن العباس أبو حيان" ت (٤١٤هـ/ ١٠٢٣ م)**
الامتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين ، أحمد الزين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، العدد ٨٣، د.ت؛ طبعة منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

- **البغدادي " أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب " ت (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)**
تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

- **التنوخي " القاض أبي علي الحسن بن علي التنوخي " ت (٣٨٤هـ/ ٩٩٤ م)**
الفرج بعد الشدة للوقائع الغريبة والأسرار العجيبة، تحقيق: خليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

- **الذهبي" شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان " ت (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧ م)**
العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ت
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : د/ عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت والتي صدرت من ١٩٩٠، ٢٠٠٠ .

- **السيوطي " جلال الدين " ت (٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)**
تاريخ الخلفاء، تعليق: جمال محمود مصطفى ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت.

الصابيء: أبو الحسين هلال بن المحسن، (ت:٣٥٩-٤٤٨هـ):

الوزراء أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج، دار الأفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

ابن الوردي" زين الدين عمر بن مظفر" ت (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م)

تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية ١٩٦٩م.

اليمانى :

سيرة جعفر الحاجب منشور فى مجلة كلية الآداب بالجامعة المصرية بعنوان مذكرات فى حركة المهدى الفاطمى، المجلد الرابع، جـ٥، نشر ايفانوف، ديسمبر ١٩٣٦ م .

ثانياً : المراجع العربية :

تيسير شادى :

الفساد فى الدولة الفاطمية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ٢٠١٥ .

محيى الدين اللاذقانى :

ثلاثية الحلم القرمطى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٣ .

خالد علال:

التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي – خلال العصر الإسلامي – مظاهر- آثاره- أسباب – علاجة ، دار المحتسب، ٢٠٠٨.

فاضل الأنصاري :

قصة الطوائف فى الإسلام بين المذهبية والطائفية ، الأهالي للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

محمد فياض :

التشيع الشعبى فى العراق ، روافد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٦ .

تاريخ التصوف الإسلامى ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠١٩ .

ثالثاً : المراجع المترجمة :

جاك. س. سيلر:

الحضارة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، باريس ، ١٩٩٣

جرجى زيدان :

تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق د/ حسين مؤسس، دار الهلال، القاهرة، د.ت.

لويس ماسينون :

آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامى، ترجمة: الحسين مصطفى حلاج، قدمس للنشر والتوزيع، بيروت،الطبعة الأولى،٢٠١٤.

ول ديورانت :

قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٥م .

رابعاً : الدراسات والبحوث :

سرمد رياض عبد الهادى ، سلمى طلال عبد الحميد :

دور الفكر الاسلامى فى محاربة الفساد الادارى ، بحث منشور بأعمال مؤتمر كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة قناة السويس بالتعاون مع جامعة بابل ، ٢٠١٤ .

خامساً : الرسائل العلمية :

" علياء سالم بن أحمد بن حليس الكعبى "

الجيش العباسى تطوره وتنظيماته (٢١٨- ٢٧٩هـ/ ٨٣٣- ٨٩٤م) ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، ٢٠٠٧ .

غسان وشاح :

موقف الشيعة من غزو المغول للعراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠٠٧.

نورة بنت ابراهيم الدوسرى :

خدام دار الخلافة ودورهم السياسى والحضارى ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠١٥ .

Spotlight on some financial and administrative corruption practices in the Abbasid state

By

Kamal Muhammad Ahmad mug

Prof. Dr. Ahmed Abdel Salam Nassif

Professor of History, Civilization and Islam, Faculty of Arts, Tanta University

Prof. Dr. Muhammad Fayyad

Assistant Professor of Islamic History and Civilization, Faculty of Arts, Tanta University

Abstract:

Corruption comes as the most prominent of the malignant diseases that, once afflicted by a people or a state, become the cause of its affliction and downfall, and the case of the Abbasid state is an exemplary case that we can subject to research and study in this field. It can be described as corrupt practices, whether in terms of money or administration. All these practices affected a major weakness and imbalance in the Abbasid state, which eventually contributed to reaching a state of flabbiness and collapse. In this paper, the researcher tries to shed some light on some of these examples.

Keywords:

Abbasid state - financial corruption,Abbasid state - administrative corruption,Financial and administrative corruption